عالياً وفي كل مكان فهو انما يأتي ذلك بعد ان صار القلب صفة راسخة فيهِ يرجع اليها بمجرد ارادة الهبوط الى محلهِ وان كان في كبد السماء . وقد يتقلب احد افراد السرب فيهيج ذلك السرب كلهُ فيتقلب بجموعهُ دفعة واحدة متراقصاً في السماء وهو منظر بديع

بغداد جميل صدقي الزهاوي

[المقتطف] لقد رأيت لنا هذه المقالة من وجهين الاول انها أرتنا انهُ لا يزال في بغداد في هذا العصر اناس يلهون بهذه الملاهي المخلة التي تفكه النفس وتطرب القلب فلم يخيم ليل الظلم على البلاد كما يصورها قوم . والثاني ان حضرة الكاتب ارتأى رأياً وجيهاً في اصل الحمام القلاب لو سمع بهِ داروين او خطر على بالهِ لاحلَّهُ محلهُ من الوجاهة

الفلسفة اليونانية

مرَّ على اليونانيين زمن كانوا فيهِ مشكاة العلم ومداة الحكمة توسدوا سدة التمدن وتربعوا دست الحضارة وبلغوا فيها الشأو البعيد ومنهم نبغ امهر الصناع وابلغ الشعراء وافصح الخطباء واشهر العلماء وهم اهل الفلسفة السابقون في حلباتها والفائزون في قصباتها والرافعون لواء الحكمة في العالمين . ولئن دالت تلك البسطة في العلم وكرَّت العصور على ما وضعهُ اولئك الاساطين من الحكمة فما برح الكلام عنها من مراقي الادباء يتداعون اليهِ تداعي الجياع الى القصاع

ولا يخفى ان الصفة المميزة للفلسفة اليونانية على سواها من الفلسفات القديمة انها مستقلة في ذاتها لا تستند في احكامها على الدين ولا تنسبُ اقوالها الى مصدر ربَّاني وانما وُجدت بين جماعة لا غاية لهم غير انشاد الحقيقة واعلاء شأن العلم بينما كانت الفلسفات الشرقية في جميع ابحاثها تتبع احكام العقائد ونصوص الكتب الدينيَّة واذا جاءت بشيء آخر اوردتهُ باسم الدين . اعتبر ذلك في انَّ العلم في مصر كان بيد الكهنة وكانوا اذا قالوا برأي عزوهُ الى الوحي ومثلهم كان الكلدان والفرس الذين حصروا العلم في صدور الموابذة الذين لم يكونوا من بعد زورواستر الاَّ مفسرين لما اوتمنوا عليهِ من الكتب المقدسة . ومع ازدهاء الفلسفة في الهند وتفوقها على سائر الفلسفات الشرقية كانت لا تخرج في ابحاثها عما جاء في كتاب الفيدا وفوق ذلك انها كادت تحسب واضعي الفلسفة من قومها في مرتبةٍ تقرب من الربوبية . وكذلك الصين التي مع انها لم تسند اوضاع حكمتها الى الوحي او الى مصدر فوق

الطبيعة ظلّت مقيدة بعادات البلاد وتقاليدها اعتبر ذلك بكونفوشيوس اعظم فلاسفتها قدرًا واعلاهم شأنًا فانهُ ابقى على تقاليد قومهِ وزاد عليها الشروح الطويلة العريضة على ان هذه الحالة تباين بالجملة ما كان عليهِ فلاسفة اليونان الذين نبذوا كل تقليد ولم يتخذوا الاسناد الى شيء مما فوق المدارك البشريَّة حجة في تعاليمهم واذا وجد شيء من ذلك في فلسفتهم فيكون قد تطرق اليها عرضًا لانهم لم يكونوا يقصدون من العلم الاَّ الحقيقة ولا ساروا في انشادها الاَّ بفكر مجرد عن كل غاية ابتغاء جلاء ما غمض من مكنونات الطبيعة تاهيك انهم لم يخلوا بقصائدهم الدينية وكثيرًا ما حملوا عليها حملةً شعراء ذلك لأن الدين اليوناني ليس بدين قانوني قائم بشرائع واصول مدونة في كتب مقدسة مثل سائر الاديان الوثنية ككتابي الذندافستا والفيدا وانما هو اساطير من افانين المخيلة حاكتها قرائح رجال هم اولى بان ندعوهم شعراء من ان نسميهم بالكهنة وهذا هو السبب في اعتاق العقول اليونانية من كل قيد يحول دون البحث الحر مجانًا لوجه العلم

ولقد اختلف الباحثون في اصل الفلسفة اليونانية فذهب فريق منهم الى انها ليست من بنات قرائح اليونانيين وانما جاءوا بها من الشرق وكيَّفوها فظهرت في شكل جديد لا يستدل منهُ على منبتها وايدوا دعواهم هذه بقولهم ان طاليس فينيقي الاصل وقد اخذ عن قومهِ معظم آرائهِ لا سيما قولهُ ان الماء اصل العالم وان فيثاغورس جاب مصر والهند وبلاد الكلدان وفارس وفلسطين وعنها اخذ القول بالوحدانيَّة وخلود النفس ومبدإ التقمص وان افلاطون وديمقراط جابا البلاد التي جاءها من قبل فيثاغورس وتخرجا على الموابذة والبراهمة وكهان مصر . وان ارسطوطاليس اخذ منطقهُ عن جوال هندي جاء اثينا فلقنهُ المنطق

ويذهب فريق آخر من الباحثين ان الفلسفة اليونانيَّة نشأة بلادها وان ادلة الفريق الاول اوهى من بيت العنكبوت لاعتمادهم فيها على اخبار حديثة العهد وجدت يوم كان التمدن اليوناني على جرف الاضمحلال وانهُ ليس في الكتابات القديمة ما يستدل منهُ على شيء مما يزعمون لا سيما وان افلاطون مع اعجابهِ بالامم الشرقية انكر عليها الفلسفة . وهب ان جماعة من فلاسفة اليونان جاءوا مصر وفارس وكلديا ابتغاء التقاط العلم فما هي العلوم والآراء التي اقتبسوها عن تلك الامم ولكل فيلسوف منهم مذهب خاص ورأي يناقض رأي الآخر وكيف يتأتى لم اخذ العلم عن كهان مصر وقد كتموهُ في صدورهم ولم يكاشفوا بهِ مواطنيهم او عن الموابذة وهؤلاء لا يعرفون غير عبادة الشمس والقمر وشيئًا قليلاً من الفلك والهندسة وشيئًا من التاريخ ممزوجة بالاساطير والحكايات الكاذبة

واما قولهم بان منطق ظاليس مأخوذ عن المنطق الهندي فدعوى لا يؤيدها التاريخ وانما يؤخذ منهُ ان اليونان لم يعرفوا الهند قبل حملة الاسكندر ومن ثمَّ ان الشقة بين كتاب بنابا لكوتاما وبين الميزان لارسطوظاليس بعيدة جدًّا اوكما قال واحد من الكتبة انهما يبتعدان عن بعضهما بعد الكنج عن اوروتاس وحملايا عن باند . ومن مثل ذلك قولهم ايضًا ان فلاسفة اليونان استقوا معارفهم من العبرانيين والفرس . واي دليل لهم على ذلك وقد علمنا من التاريخ ان قبل حملة الاسكندر وتسلطن السلوقيين على سورية لم يكن اليونانيون يعرفون شيئًا من شؤون العبرانيين ولا يعرف العبرانيون شيئًا من احوال اليونانيين بحيث لا يتأتى لافلاطون وفيثاغورس وسقراط الاطلاع على الكتب العبرانية ولم يكن قد نقل منها شيء الى اللغة اليونانيَّة ولا ظهرت حتى يوسلم الترجمة السبعينية الشهيرة وكذلك لم نرَ ذكرًا للامة العبرانية ولا لمؤلفاتها في كل ما كتبهُ اليونانيون عن الامم الاجنبية وزد على ذلك اي شبه وجدوهُ بين مرويات التوراة وعقائدها وبين ما دونهُ الفلاسفة اليونانيون من الابحاث النظرية والقواعد العليَّة وان كان ثمت شيء من الشبه بين كلام افلاطون في تكوين العالم وفيما ورد في الفصل الاول من سفر التكوين فلا يحسب حجة قاطعة لاثبات دعواهم لا سيما وان مثل هذا الكلام عن تكوين العالم وارد في كتاب الزندافستا ولا يبعد ان يكون قد اتصل باليونان من الفرس الذين تسلطوا على الجزائر الايونيَّة في زمن يقرب من ايام انكساغورس ولربما منهُ اتصل هذا الرأي بافلاطون فاثبتهُ في كتاب التيمه Timée على انهُ لم يجزم بصحتهِ

وما بال الباحثين يفتشون عن منشإ الفلسفة اليونانيَّة في غير قرائح رجالها فهل عرفوا اساتذة هوميروس واشيل واريستوفان وديموستان وهيرودوت وغيرهم ممن تفوقوا في الفنون والعلوم وكانوا مثالاً للبرزين من رجال العلم والصناعة في كل مصر وزمان ولاريب ان الشعر والطب والتاريخ والصناعات من نشأة البلاد ولدتها عقول النوابغ من الاهلين

وسواء كانت الفلسفة اليونانيَّة نشأة تلك الارضين او جيء بها من الشرق فهي ولا غرو اسمى الفلسفات القديمة واعلاها شأنًا ولها الفدح المعلى لدى كل امة استنارت بانوار العلم والعرفان وامت منازل الحضارة والعمران وقد نشأت في المستعمرات اليونانية في الجهة الغربيَّة من آسيا الصغرى حوالى ٦٠٠ ق . م ومن ثم انتقلت الى اثينا محط رحال الفلسفة وعاصمة العلم اليوناني

ولقد اجمع المؤرخون على قسمة الفلسفة اليونانيَّة الى ثلاثة ادوار كبرى ولكل دور

منها شأن خاص بهِ وصفة مميزة لهُ عن الآخر فصفة الدور الاول هي تعدد مدارسهِ ما بين الايونية والايطالية والاثينية البحث عن طبيعة الاشياء ومصدرها من غير التفات الى شرائع العقل الانساني وقواهُ على ان الطريقة التي سار بها جهابذة هذا الدور وهم المسالك أدت الى اللادرية والى ما هو شر منها وهو ظهور السفسطائيين وشأنهم في التاريخ مشهور يومئذٍ دخلت الفلسفة في دورها الثاني واتخذت لها منهاجاً جديداً وهو البحث عن الانسان وقواهُ العاقلة التي يتمكن بها من تمييز الحق عن الباطل ووضع الطرائق المؤدية الى معرفة الحقائق وكشف مكنونات العالم وفي هذا الدور ظهرت جميع المذاهب الفلسفية وابعدها شهرة . ومن ثم جاء الدور الثالث بعيد ما تنومي من الآراء والمذاهب القديمة في شكل اقوى وقد استمرَّ في الوجود حتى القرن الخامس من العصر المسيحي

سبق فقلنا ان مدارس الدور الاول هي الايونية والايطالية والاثينية وقد دعيت باسماء المواضع التي نشأت بها وزعيم الايونية طاليس ومذهبها مادي ووجهتها الطبيعة ولان اختلف اساتذتها في تعيين جواهر الاشياء ما بين تراب وماء وهواء ونار مع ذلك لم يخرجوا في ابحاثهم عن المادة ولا تعدوها . واشهر فلاسفة هذه المدرسة طاليس وانكسيمندر وانكسيمان وهيراقليط وامبدوكل وغيرهم واما طاليس فنيلتيقي المعتد واحد من الحكماء السبعة وهو واضع الفلسفة الطبيعية واذا ثابتنا قول ارسطو طاليس عنهُ يكون هو واضع علم الفلك والمندسة واول من عرف اوقات الكسوف والخسوف وأول من تنبه لجذب الكهرباء بالفرك ورتب اوقات الشهور والفصول وغير ذلك من الحوادث الفلكية والميتورلوجية

وقد اشتغلت المدرسة الايونية ايضاً بالابحاث الادبية ورأينا لها في هذا الباب اراء حرية بالاعتبار نسبت لزعيمها طاليس من مثل القول بخلود النفس ووضع الحد الفاصل بين العقل والمادة وخواطر أخرى في الخير والجمال نقلت الى سقراط فتناولها عنهُ المعلم افلاطون واظهرها للناس بحلة بابهى حلى الحكمة والبيان

واما المدرسة الايطالية فتدكانت مدرسة رياضية بدليل ما جاءت بهِ من الاكتشافات العظيمة في المندسة والفلك على انها لم تخلُ عن الطبيعيات ولا غادرت العلوم الادبية وكان صاحبها فيثاغورس يوجب على الطلبة التقشف والصمت خلال سني الطلب وكان تلامذتهُ يقالون كثيراً باعتبارهم واحترام الوالد وحسبانها من الصدق والحق بما يقرب من منزلة الكلام المنزل حتى اذا تناظروا في امر وحي وطيس الجدال وجاء أحد المتناظرين بدليل من اقوال الاستاذ بتَّ الامر وكان ذلك الدليل فصل الخطاب

وكانت تعاليمهُ على نوعين نوع للعامة ونوع لخاصة يراد بهؤلاء تلامذتهُ ومريديهِ الذين تخيرهم فقبلوا في طريقتهِ الا ان تعاليمهُ كانت غامضة لاتخاذهِ طريقة العدد رمزاً لما يريد ستره عن العامة من الحقائق العلية

اما المدرسة الالياتية فهي ذات فرعين الواحد منهما يبحث في النظريات والاخر في الطبيعيات ومن اساتذة الاولى اكزنيفون وبارامندز وزينون ويذهب هؤلاء ان المعارف على نوعين منهاما يحصل لنا بواسطة الحس وهذه الاوهام الباطلة ومنها ما يحصل بواسطة العقل وهو العلوم الراهنة على انهُ من الواجب ان نترك لسذج الناس الاعتقاد بظواهر المحسوسات ونوجب على ذوي العقول الراجحة سبر غور الاشياء واعتماد العقل في ابحاثهم على ان الفرع الثاني من المدرسة الالياتية يناقض في الرأي الفرع الاول واعتمد الحس في ابحاثهِ وقد انصرفوا بكليتهم لدرس الجوهر الفرد

وظهر بعد هذه المدرسة جماعة السفسطائيين وهم فئة من اساتذة البيان اتخذوا الجدل والمناظرة شغلهم الشاغل واشهرهم بروتاكورس وكورجياس

الدور الثاني — سبق نقلنا ان فلاسفة الدور الاول جعلوا معظم بحثهم في الطبيعة واصل العالم وتكوينهِ فاختص جماعة منهم بالطبيعيات وفريق بما وراء الطبيعة وفئة بالرياضيات وقوم بالميكانيكيات على ان خواطر الفلاسفة في الدور الثاني اتجهت للبحث في الانسان وطبيعتهِ فاشتغل قوم منهم بالحس واقتصر في بحثهِ على الشعور وانصرف آخرون الى درس الارادة والبعض الى قوى المدارك وجملة القول انهم افتسموا في هذا الدور حالة الانسان كما اقتسم اهل الدور الاول الكلام في شؤون العالم

وقد مضى الدور الاول والفلسفة بين ايدي جماعة السفسطائيين الذين حسبوا البلاغة والمحاكمة في الجدل غاية العلم ومنتهى الحكمة فنقّض الله للفلسفة رجلاً عظيماً هو سقراط الحكيم الكبير الذي حمل على السفسطائيين فبدد اباطيلهم وشتت تخرصاتهم بما اوتي من العلم الراسخ والحكمة الباهرة والحجة القاطعة فكان على ما نالهُ شيشرون منزل الفلسفة من السماء ولا غرابة في ذلك فهو واضع الفلسفة وبعبارة اخرى المبدإ الفلسفي اي قاعدتي الملاحظة والتحليل اللتين اعتقتا العقل من اسر الحدس والتخمين فانطلق ينشد الحقائق في سبل البحث والتنقيب

ولم يكن لسقراط مدرسة خاصة يجتمع اليها الطلبة فيأخذون عنهُ العلم شأن سائر الفلاسفة بل كان يعلّم في كل موضع وجد فيهِ ولم يدوّن في مؤلف خواطرهُ الفلسفية

والادبية وانما رواها للناس عنهُ تلميذاهُ افلاطون واكزنيفون فنقل الاول عنهُ ابحاثهُ في النظريات والثاني اقوالهُ في الآداب ولما كان ديدنهُ تعليم الناس في الشوارع واعمال العمومية الآداب والدين حاملاً على السفسطائيين يطعن في مذاهبهم ويتشد مزاعمهم سعى به عداة الحق عند الحكومة فشكوهُ انهُ لا يعبد الارباب الوطنية ويحاول ادخال عبادة آلهة جديدة الى البلاد ويفسد آداب الناشئة الى غير ذلك من التهم والاكاذيب الملفقة فحكم عليهِ بالقتل ظلماً وبهتاناً فشرب السم الزعاف غير هيّاب ولا وجل وراح شهيد الفضل والحق

وكان سقراط يقول ان النفس جوهرٌ مجرّد عن المادّة شبيهة بالالهة الخالد وان قواها الاساسية الحس والعقل ويعتقد بوحدانية الله وبوجود آلهة دونهُ قدرًا بعثت منهُ لحفظ العالم وان سعادة الانسان الحقيقية في اتيان الفضائل والفضائل الاصلية اربعة وهي الحكمة والشجاعة والعدل والاعتدال وان الحكمة تارة تكون فضيلة خاصة واونة نتيجة الفضائل الاخرى وتقوم فضيلة العدل باتباع الشرائع الموضوعة والشرائع الازلية التي لم تدون الاّ على صفحات القلوب والاعتدال يكون تارةً فضيلة ادبية وطوراً واسطة لنيل السعادة على ان كل علم لا يعمل على تحسين حالة الانسان فهو باطل وافضل شيء للانسان ان يعرف نفسهُ

وكانت غايتهُ من اسلوب التهكم المعروف باسمهِ "التهكم السقراطي" تمحيص معارف ايامهِ وتبيان مواضع الغلط فيها ودفع ذوي الالباب الى البحث واكتشاف الحقائق وذلك بطريقة الاستقراء وهي الانتقال من المعلوم الى المجهول وقد ذهب الى ان اول درجةٍ يبلغها الانسان في البحث هي العلم بانهُ لا يعرف شيئاً ومتى بلغ هذه الدرجة وظلّ على البحث يدرك السبيل التي تنتهي بهِ الى المعرفة - وخلاصة القول ان لهذا الفيلسوف اليد البيضاء في ارتقاء الفلسفة وقد رأى الناس ثمار تعاليمهِ فيها دانية القطوف بين يدي افلاطون وارسطوطاليس

وهذان الفيلسوفان هما ولا ريب من اعظم فلاسفة هذا الدور واوسعهم علماً واعلاهم شأناً فانهما وان تباعدا في خطتهما الفلسفية فقد اتفقا على حسبان شرائع العقل واحكام طبيعتهِ شرطاً لازماً للعلم كما وانهما لم يحصرا العلم ضمن معرفة حالة الانسان بل جعلاهُ يبحث في طبائع جميع الكائنات فرضما بذلك اساس العلوم

وقد عرف عن افلاطون انهُ عقيب ان اشتغل بالشعر وتعاطى صناعتهُ ردحاً من الزمن عاد فانقطع لدرس الفلسفة على سقراط وبعد موت استاذهِ ترك اثينا وطاف اسيا ومصر وبلاد اليونان ومن ثمّ عاد الى وطنهِ وانشأ مدرستهُ في حديقة صديقهِ اكاديمس ولذلك سميت بالاكادمية وقيل كان لهُ كيفاغورس اسلوبان في التعليم واحد للخاصة من تلامذتهِ

والثاني لعامة من الناس ولقد لقي العلماء عناء كبيراً في فهم مؤلفاته لاعتماده فيها على الامثلة والرموز

على ان اهمّ ما في فلسفة افلاطون آراؤهُ عن الله والنفس وقد نسب لهُ البعض القول بتعدد الالهة مستندين في ذلك الى ما ورد في كتابهِ التيمة ويذهب البعض ان القول بتعدد الالهة مناقض لمذهبهِ وان ما جاء في كتابهِ المشار اليهِ من ذكر الالهة لم يكن الاَّ مجاراةً لعقائد العامة من الناس وفي حقيقة الحال ان آلهة افلاطون ما هي الاَّ الوسيطة بين الله والعالم والمطيعة لاوامرهِ والمنفذة لاحكامهِ في اعمال المخلوقات السفلى ولا تأتي عملاً الاَّ طبق ارادتهِ وحسب مشيئتهِ واما النفس فهي ما اوجدهُ الله مباشرة وبعبارة اوضح هي اول مخلوقاتهِ لانها اوفر كمالاً من جميعها وقد ركبها من عنصرين عنصر الهي صادر عنهُ وعنصر مشارك في ماهيتهِ للجسمانيات الجسدانيَّة ومن خصائصها ان تصحب الحياة والحركة وهي خالدة

ولافلاطون كلام طويل في الآداب والسياسة لا يتسع لنا المقام الالماع الى شيء منهُ ولم يكن لهُ طريقة خاصة ولا نظام معين وكما قالهُ وعلمهِ مأخوذ عما تلقنهُ عن استاذهِ سقراط ومات سنة ٣٤٨ ق م تاركاً للعلم والحكمة اعظم عالم واكبر فيلسوف وهو ارسطوطاليس المسمى بالمعلم الاول رأس الحكماء المشائين وواضع علم المنطق

الاَّ ان ما نال ارسطوطاليس من الشهرة البعيدة والصيت الذائع لم ينلهُ سواهُ من الفلاسفة وجهابذة العلم ولا تغنى تاريخ من تواريخ الامم الراقية بفضل رجل من رجال الحكمة بمثل ما تغنت بارسطوطاليس تواريخ الغرب والشرق . ولا غرابة في ذلك فهو اول فيلسوف احاط بكل فروع العلم ولم يدع باباً من ابوابهِ الاَّ ولجهُ ووضع فيهِ المؤلفات الجليلة التي كانت هداة طلاب العلم في كل زمان ومكان فهو الواضع لعلم المنطق وقد صنَّف فيهِ كتاباً سماهُ الميزان تكلم فيهِ اولاً عن الكليات الخمس والمقولات العشر ومن ثمَّ بحث عن القضايا واحكامها ومن هناك تطرَّف الى الكلام عن القياس وانواعهِ وبيَّن طرق الاستدلال ومواضع المغالطة والسفسطة وقد كان لهذا العلم في كل اعصر العمران شأناً عظيماً وكان في تضاعيف بعضها الغاية القصوى من الفلسفة بل العلم كل العلم

ولهذا الفيلسوف مؤلفات كثيرة في الطبيعة . ويعنى بالطبيعة هنا ما ارادهُ اليونان من معناها وليس ما اصطلح عليهِ علماء عصرنا . منها كتاب عنوانهُ الطبيعة في ثمان مجلدات ورسالة في السماء واخرى في النفس وتاريخ للحيوان في عشر مجلدات ووضع ايضاً كتباً كثيرة فيما وراء الطبيعة والآداب السياسيَّة وكلها تشهد لهُ بغزارة المادة والتبريز بتوقد الذهن

ولقد كرَّ الزمن الطويل على مذهبي افلاطون وارسطوطاليس حتى بلغا البلاد الاسلاميَّة زمن ازدهائها العلمي ووصلا الغرب في العصور الوسطى واوائل النهضة العلميَّة فيه وكانا حيثما وصلا التفت حولهما خيرة الاذكياء من الادباء واحلوهما محلاً رفيعاً من التجلة والاحترام على انهُ قام في اليونانيَّة الى جانبهما مذاهب اخرى كالابيقورية والرواقيَّة ومدرسة بيرهون الاَّ انها جميعاً لم يطل زمن وجودها لانها لم تكن ذات مبادئ متينة تقوى على كرور الايام

نشأ المذهب الابيقوري في اثينا سنة ٣٤٠ ق . م وزعيمهُ ابيقورس ومذهبهُ حسي ويعتقد انهُ كما يأتي عن طريق الحس منزهٌ عن الغلط وان ما يبنى على مجرد الفكر لا يسلم من الزلل وتأييداً لمذهبهِ هذا وضع القواعد الاربع الآتية (١) ان الحس لا يخطئ ابداً (٢) لا يقع الخطاء الاَّ من الفكر (٣) يكون الفكر صائباً اذا اثبتهُ الحس ولم ينقضهُ (٤) يكون الفكر مخطئاً اذا ناقضهُ الحس . وذهب الى ان اللذة هي الغاية من الحياة الدنيا وان الانسان لا يكلف باتباع الفضيلة اذا لم تقترن باللذة على انهُ آثر لذة النفس على لذة الجسد

واما الرواقيون فقسموا العلم الى ثلاثة اقسام وهي الطبيعيات والآداب والمنطق فلم يزيدوا عليهِ شيئاً بل عملوهُ كما وضعهُ ارسطوطاليس وانما اختصروا المقولات العشر فجعلوها اربعاً وقالوا في الطبيعيات ان العالم مؤلف من مبدأين الاول منها المبدأ الفعال والثاني المنفعل فالفعال هو العقل الازلي والمنفعل هو المادة وان نفس الانسان منبعثة عن النفس الازلية وتعود اليها اخيراً وتمتزج معها . على ان آداب الرواقيين سامية واثارها الحسان ظاهرة في سنة مشرعو الرومان من الشرائع والقوانين . وفي هذا الدور ظهرت اللادرية في شكل جديد من القوة والتفت حولها جماعة من العلماء قالوا بارآء زعيمها برهون الذي وُجد بعد ارسطوطاليس وعلَّم بوجوب الارتياب بكل شيء وعدم الجزم بحقيقة وادعم قولهُ هذا بالقواعد الآتية (١) ان الناس يختلفون بعضهم عن بعض (٢) ان الشعور في الانسان الواحد يختلف عن شعور الانسان الآخر حتى ان المشاعر في الشخص الواحد تناقض بعضها فالريحان مثلاً تستطيبهُ حاسة الشم وتكرههُ حاسة الذوق (٣) ان الاحوال تغير في الافكار وان الصحة والراحة والحركة والبغض والجوع والعطش تؤثر في الافكار (٤) ان الحكم على الاشياء الخارجية يتوقف على حالة اعضائنا (٥) ان الانفعال الذي يحدث فينا اثر مشاهدة شيء يختلف حسب كثرة المشاهدة وقلتها (٦) ان الحكم على الاخلاق يختلف باختلاف شرائع القوم وعاداتهم فان ما تحسبهُ امة فضيلةً ربما عدتهُ اخرى رذيلة

المضا الى خلاصة المذاهب الفلسفية في الدور الثاني وقد بقي علينا ان نذكر شيئاً من شؤون الدور الثالث وما شأن هذا الدور في الفلسفة الاَّ الرجوع الى المذاهب القديمة والعمل بها والوقوف عند حد ما وضعت لهُ شأن مدرسة اثينا والفلسفة عند الرومان الذين حالت رغبتهم في السياسة وتكتيب الكتائب لتدويخ البلاد عن الانصراف بكليتهم الى الابحاث النظرية البحتة فلم يقم منهم فيلسوف عظيم ولا نشأ عندهم مذهب فلسفي خاص وانما جاءتهم الفلسفة من اليونان بمذاهبها الكثيرة فابقوها على ما هي واعتنق سوادهم الرواقية وكان لها بينهم المكانة العليا

وكانت غاية مدرسة الاسكندرية ان تجمع ضمن مذهب واحد الفلسفة اليونانية والاديان الشرقية ولم تضع من عندها شيئاً جديداً وعرفت طريقتها هذه بالمذهب الانتقائي على انهُ بعد ان ظهرت النصرانية وتعززت بتنصر الملوك حملت على هذه المدرسة حملة هائلة لم تبقِ عليها فاندثرت وكان باندثارها نهاية الفلسفة اليونانية

ولا ريب ان مَن تتبع سير الفلسفة في العالم بعد موت الفلسفة اليونانية يرى ان مبادئ مذاهبها الكبرى لم يعتورها الفناء ولا مسها الموت وانما ظلّت في الحياة تتسرّب الى كل رأي عند كل امة راقية تسود وتتربع المحل الاول فاذا التفتَ الى كتابات آباء الكنيسة وعلمائها يمين نقادة تجلّت لك خلالها آراء افلاطون منزّعة عن شوائب الوثنية مجملة بالمبادىء المسيحية

***

وماذا نقول عن فلسفة ارسطوطاليس وقد سادت على الافكار آماداً طوالاً ودخلت مدارس اليهود والنصارى والعرب فكانت ضالتهم المنشودة يترجمون كتبها ويشرحون غوامضها ناهيك ان المنطق ظلّ نحواً من ستمائة سنة في العصور الوسطى وهو العلم الوحيد الذي كان يستفيد الوسع في دراستهِ ويستفرغ الجهد في تطلبهِ وحتى ان الاجيال الاخيرة مع سيرها شوطاً بعيداً في العلم لم تفرق بعد من طاعتهِ وما برح منطق ارسطوطاليس بين ايدي طلبة المدارس اليوم وهو لم يخطُ خطوة واحدة الى الامام او الى الوراء على ما قالهُ كنت

والرواقية على ضعف تعاليمها ووهن مبادئها التي لا تقوى على نار التمحيص والتجريح ذات آداب سامية نابت مناب الدين زمن انحطاط الدولة الرومانية ووضعت الشرائع التي اقامت العدل والحق مقام العادات والامتيازات وعملت على تحسين حالة الانسان وحملهُ اعتبار الذات والحق

ص٠ ي